رؤى فلسفية للمفاهيم اللغوية الكفاءة والأداء
بين المنهجين البنيوي والتوليدي التحويلي

Philosophical insights into linguistic concepts Efficiency and performance Between structural and transformational generative approaches

إعداد

د/ رضاء عبد الحليم جاب الله محمد

أستاذ مشارك – كلية الآداب – قسم الفلسفة – جامعة طبرق

Reda.mohamed@tu.edu.ly

الملخص:

تُعد اللغة جوهراً للمجتمع والثقافة، وانعكاساً للتجربة الإنسانية ووسائل التواصل، لذا عمل الفلاسفة واللغويون على دراسة اللغة، حيث أسسوا مؤسسين نظريات تبرز جوانبها مثل الكفاءة والأداء اللغوي. يُنسب إلى فرديناند دي سوسير ونعوم تشومسكي تطوير المقاربتين البنيوية والتوليدية، اللتين تقدمان رؤى فلسفية مختلفة حول طبيعة اللغة.

لذلك تهدف هذه الدراسة إلى فهم هذه المناهج ومقارنة مفاهيمها، مع التركيز على الاختلافات الجوهرية وتأثيرها في علم اللغة والفلسفة لأن اللسانيات تُعد تقاطعًا حيويًا بين الأفكار الفلسفية حول اللغة وطرق إدراك البشر للواقع. تستكشف البنيوية اللغة كنظام دلالي للكشف عن البنى العميقة، بينما ترى المقاربة التوليدية أنها قدرة فطرية تعتمد على قواعد نحوية.

يساهم كل من النهجين في تعزيز فهمنا للغة، ويتداخلان مع أفكار المعرفة والإدراك، مما يعيد تقييم فهمنا لاكتساب اللغة وبناء المعنى. هذا الارتباط بين اللغة والفكر يدعو للتأمل في أبعاد الوجود الإنساني.

الكلمات المفتاحية: الكفاءة – الأداء – البنيوية – التوليدية – التحويلية

Abstract :

Language is the core of society and culture, reflecting the human experience and means of communication. Philosophers and linguists have studied language, establishing theories that highlight aspects such as linguistic competence and performance. Ferdinand de Saussure and Noam Chomsky are credited with developing structuralist and generative approaches, which offer different philosophical perspectives on the nature of language.

This study aims to understand these approaches and compare their concepts, focusing on fundamental differences and their impact on linguistics and philosophy. Linguistics is a vital intersection between philosophical ideas about language and the ways humans perceive reality. Structuralism explores language as a semantic system for revealing deep structures, while the generative approach sees it as an innate ability based on grammatical rules.

Both approaches contribute to our understanding of language, and overlap with ideas of knowledge and cognition, reassessing our understanding of language acquisition and building meaning. This connection between language and thought invites reflection on the dimensions of human existence.

Keywords: efficiency – performance – structuralism – generative – transformative

المقدمة :

تمثل اللغة ماهية التجربة الإنسانية، فهي الوسيلة التي من خلالها يعبر البشر عن أفكارهم ويتفاعلون بها في تجاربهم التواصلية، لذا تشكل اللغة حجر الزاوية في بناء المجتمعات والثقافات . فقد اهتم الفلاسفة واللغويون على مر التاريخ بدراستها وفهم آليات عملها، مما أدى إلى ظهور العديد من المفاهيم والنظريات التي حاولت تفسير طبيعتها وكيفية اكتسابها واستخدامها .من بين هذه المفاهيم، برز مفهومي "الكفاءة اللغوية" و"الأداء اللغوي" اللذان شكلا محورًا أساسيًا للعديد من النقاشات الفلسفية واللغوية. وقد تطور فهمهما بشكل كبير بفضل مساهمات اللغويين، ولا سيما فرديناند دي سوسير ونعوم تشومسكي حيث صاغا نظريات لغوية تبين طبيعة تلك المفاهيم، بعدما طال الجدال والخلاف حول طبيعتهما في المنهجين - البنيوي والتوليدي.

يهدف هذا البحث الوقوف على طبيعة تلك المنهجين ومقارنة رؤيتهما لمفهومي الكفاءة والأداء، وتحديد الفارق بين المفهومين

- توضيح كيفية تأثير هذين المفهومين على تطور النظريات اللغوية والفلسفية ومدى مساهمة كل من فرديناند دي سوسير ونعوم تشومسكي في تشكيل الماهية الجديدة لهذه المفاهيم

وبتوضيح كيف أصبحا مفهوما الكفاءة اللغوية والأداء اللغوي محاور رئيسية في فهم هذه الوسيلة الإنسانية عبر تاريخ الفلسفة اللغوية، تكمن أهمية البحث من خلال الآتي:

- المساهمة في توضيح الفارق– الكفاءة والأداء - في المنهجين البنيوي والتوليدي وتأثيرهما على الدراسات اللغوية والفلسفية.
- تقديم رؤي تحليلية لإسهامات دي سوسير وتشومسكي، مما يعزز فهم التطورات النظرية في علم اللغة.
- تقديم إطاراً تحليلياً يمكن استخدامه في الدراسات المستقبلية لتحليل مفاهيم لغوية أخرى.

محاور البحث المقترحة: تنقسم لثلاثة محاور وخاتمة
المحور الأول: تعريف الكفاءة والأداء اللغوي
المحور الثاني: النظريات اللغوية والفلسفية لفرديناند دي سوسير
المحور الثالث: من البنيوية إلى النحو التوليدي

منهجية البحث:
لعرض تلك المحاور تم استخدام المناهج الآتية:

- **المنهج التحليلي: لتحليل أعمال دي سوسير وتشومسكي ذات الصلة بالموضوع.**
- **المنهج المقارن: لمقارنة الرؤيتين وتحديد أوجه التشابه والاختلاف.**
- **المنهج التحليلي النقدي: لتقييم مساهمات كل من دي سوسير وتشومسكي في تطور علم اللغة.**

المحور الأول
تعريف مفهومي الكفاءة والأداء اللغوي

يُعد مفهومي الكفاءة والأداء اللغويين مفهومان أساسيان في علم اللغة وقد حظيا باهتمام كبيرًا من قبل اللغويين ما أدى لتطور فهمهما بسرعة ملحوظة في الدراسات اللغوية، وذلك بعدما تطرق لهما فلاسفة اللغة من حيث الأهمية والاستخدام في نظريات الفلسفة اللغوية، وما زاد الاهتمام بهما والتوجه لوضع الإطار الفلسفي لصياغتهما من حيث المعنى مساهمات اللغويين، فرديناند دي سوسير ونعوم تشومسكي.

تعرف الكفاءة اللغوية (Competence) :بأنها المعرفة الضمنية بقواعد اللغة في ذهن المتحدث، والتي تمكنه من القدرة على إنتاج جمل صحيحة نحويًا ودلاليًا، هذه المعرفة تمكن المتحدث من فهم وإنتاج عدد لا نهائي من الجمل، بمعنى آخر، هي القواعد اللغوية التي يتقنها المتحدث والتي تمكنه من فهم وإنتاج اللغة [1] هذه القواعد لا تقتصر على القواعد الصرفية والنحوية، بل تشمل أيضًا المعاني والدلالات والقيم اللغوية، لذلك تتميز الكفاءة اللغوية بعدة خصائص:

- غير مرئية: فهي معرفة داخلية لا يمكن ملاحظتها مباشرة.

- مثالية: تمثل النظام اللغوي المثالي الذي يمتلكه المتحدث وكثيراً ما تعرف بكونها (جينية).
- غير محدودة: تمكن المتحدث من إنتاج جمل جديدة مستحدثه

أما الأداء اللغوي(Performance) فيعرف بأنه : الاستخدام الفعلي للغة في مواقف التواصل المختلفة، و هي التجسيد العملي للكفاءة اللغوية، يتأثر هذا الاستخدام بعدة عوامل منها، نفسية مثل: الذاكرة والانتباه والعواطف، واجتماعية مثل: السياق الاجتماعي، والعلاقات بين المتحدثين، والوضع الاجتماعي، [2] وسياقه مثل: الأخطاء اللغوية، والانزلاقات اللغوية، والتردد، كثيراً ما يحتوي الأداء اللغوي على أخطاء و انحرافات عن القواعد النحوية نتيجة تأثره بتلك العوامل ، وهذا لا يعني بالضرورة أن المتحدث لا يمتلك الكفاءة اللغوية اللازمة، فقد يكون للسياق دوراً في تلك الإخفاقات الدالة على الكفاءة.

- دور السياق في الأداء اللغوي وعلاقته بالكفاءة

يتعلق السياق بالبيئة الاجتماعية والثقافية التي يتم فيها استخدام اللغة، لذلك يلعب السياق دورًا حاسمًا في الأداء اللغوي، حيث يؤثر على كيفية فهم المتحدثين للغة وكيفية تفاعلهم بها، فالسياق يتضمن: البيئة التعليمية والتفاعلات الاجتماعية والعوامل الثقافية، أما الكفاءة فهي تتعلق بالمعرفة النظرية للقواعد اللغوية، بينما الأداء يشير إلى الاستخدام الفعلي لتلك المعرفة في سياقات الحياة اليومية. ومن هنا يتضح أن السياق يمكن أن يؤثر على الأداء اللغوي من خلال توفير بيئات غنية بالفرص لاستخدام اللغة، مما يساعد على تعزيز الكفاءة، كما أن الكفاءة تؤثر بشكل مباشر على الأداء. فكلما زادت كفاءة الفرد في استخدام اللغة، زاد احتمال أن يكون أداؤه لغويًا أفضل، وبذلك تكون العلاقة بينها علاقة قائمة على الاعتماد المتبادل، وكذلك يلعب السياق دورًا مهمًا في الأداء اللغوي. السياقات المختلفة تتطلب استخدام أنواع مختلفة من اللغة، مما يبرز أهمية فهم السياق في تحسين الأداء.

العلاقة بين الكفاءة والأداء في النظريات الفلسفية:

إن العلاقة بين الكفاءة والأداء في اللغة تحمل أبعادًا فلسفية عديدة، تعكس التفاعل التبادلي بينهما، فبما أن الكفاءة تمثل المعرفة النظرية والأداء ما هو الا التطبيق العملي لتلك المعرفة فهذا يلزمنا إيضاح تلك العلاقة الفلسفية في بعض النقاط التي تعبر عنها نظريات فلسفية:

1. **نظرية المعرفة:**

الكفاءة تمثل المعرفة الضمنية التي يمتلكها الفرد حول اللغة، وهي تعكس جوانب من نظرية المعرفة (Epistemology)التي تتناول كيف نعرف ما نعرفه. في حين أن الأداء يمثل التطبيق العملي لهذه المعرفة، مما يثير تساؤلات حول كيفية تحويل المعرفة النظرية إلى فعل حقيقي، يُمكن فهم الكفاءة والأداء اللغوي في سياق نظرية المعرفة الفلسفية على النحو التالي:

الكفاءة كمعرفة قبلية (A priori knowledge): تُشبه الكفاءة اللغوية للمعرفة القبلية التي يتحدث عنها ايمانويل كانط، هذه المعرفة لا تعتمد على التجربة الحسية المباشرة، بل هي مُتأصلة في العقل وتُمكّننا من فهم

العالم من حولنا. على سبيل المثال، معرفتنا بمفاهيم مثل الزمان والمكان والسببية تُعتبر معرفة قبلية تُشبه الكفاءة اللغوية في كونها شرطاً ضرورياً للفهم والتفكير[3].

أما الأداء اللغوي يُمكن اعتباره تجسيداً أو تطبيقاً للمعرفة الكامنة في الكفاءة. فكما أن الفعل الأخلاقي يُعتبر تجسيداً للمبادئ الأخلاقية، يُعتبر استخدام اللغة في التواصل تجسيداً للمعرفة اللغوية. يُمكن أن يُخطئ الفرد في أدائه اللغوي، لكن ذلك لا يعني بالضرورة أنه يفتقر إلى الكفاءة اللغوية، بل قد يكون السبب عوامل أخرى كالتعب أو النسيان.

2 - نظرية الاختزال

تُثير العلاقة بين الكفاءة والأداء عدة تساؤلات فلسفية حول العلاقة بين النظرية والتطبيق، وبين الإمكانات والواقع. وبين العقل والسلوك. منها هل يُمكن اختزال الكفاءة في الأداء؟ أم أن هناك فجوة لا يُمكن تضيقها بينهما؟ لا يوجد إجماع فلسفي حول هذه المسألة، بل تتعدد الآراء ووجهات النظر، منها الرافض للاختزال بشكل قطعي ومنها من يقر بإمكانية الاختزال بشكل جزئي أو مشروط، وراي ثالث يرى إمكانية الاختزال بشكل كامل في بعض الحالات.

وجهات وأراء فلسفية حول إمكانية اختزال الكفاءة في الأداء:

أ . رفض الاختزال بشكل قاطع:

يرى كانط Kant أن هناك تمييز واضح بين "الشيء في ذاته" و"الظاهرة" : "الشيء في ذاته" يمثل الواقع كما هو في ذاته، وهو مُستقل عن إدراكنا الحسي. أما "الظاهرة" فهي الكيفية التي يظهر بها هذا الواقع لنا من خلال حواسنا وقوالبنا العقلية. يُمكن تشبيه الكفاءة بـ "الشيء في ذاته"، والأداء بـ "الظاهرة". فكما لا يُمكن اختزال "الشيء في ذاته" في "الظاهرة"، لا يُمكن اختزال الكفاءة في الأداء ورفض نظرية الاختزال بشكل قاطع [4]

بينما نعوم تشومسكي (Chomsky)- وهو من أبرز من طرح مفهوم الكفاءة والأداء- يرى أن الكفاءة اللغوية تمثل نظاماً معرفياً مستقلاً عن الأداء. فالأداء يتأثر بعوامل خارجية كالتعب والذاكرة والظروف النفسية، بينما الكفاءة هي قدرة كامنة ثابتة. وبالتالي، لا يمكن اختزال الكفاءة في الأداء المتغير والمتأثر بالظروف. ([5]) هذا الرأي يتفق مع فكرة وجود معرفة ضمنية أو فطرية سابقة للتجربة. هذا الموقف يُشبه الموقف الأفلاطوني من المُثُل، حيث تُعتبر المُثُل حقائق مُطلقة ومُستقلة عن العالم الحسي.

ب. **إمكانية الاختزال بشكل جزئي أو مشروط:**

يرى فلاسفة البرغماتية (Pragmatism)، مثل بيرس (Peirce) وجيمس (James) وديوي (Dewey)، أن المعنى والقيمة يتحددان من خلال النتائج العملية والتجربة. فالمعرفة ليست مجرد تمثيل ذهني للواقع، بل هي أداة للفعل والتفاعل مع العالم. في هذا السياق، يُمكن القول إن الكفاءة لا تُختبر إلا من خلال الأداء.[6]

فالكفاءة اللغوية، على سبيل المثال، لا تُعرف إلا من خلال القدرة على استخدام اللغة في التواصل الفعلي. وبالتالي، يُمكن اعتبار الأداء جزءاً أساسياً من تعريف الكفاءة.

أما فلاسفة الوجودية (Existentialism): مثل سارتر (Sartre) وهايدغر (Heidegger)، فقد ركزت على الوجود الفعلي للإنسان وحريته في الاختيار والفعل. فجوهر الإنسان لا يسبق وجوده، بل يتشكل من خلال أفعاله وخياراته. في هذا السياق، يُمكن القول إن الكفاءة لا تُوجد بمعزل عن الأداء. فالإنسان يُصبح ما هو عليه من خلال أفعاله، وكفاءته تتجسد في أدائه وبذلك تتم عملية الاختزال نتيجة التجسد القائم بينهما كونه ارتباطاً وثيقاً مشروطاً [7]هذا الموقف يُشدد على أهمية الفعل والوجود الفعلي في تحديد ماهية الإنسان. من منظور وجودي، لكون الأداء يعكس الهوية الفردية للمتحدث. فكيف يستخدم الفرد لغته يعبر عن ذاته وتجربته الحياتية. هذا يفتح باب النقاش حول كيف يمكن للكفاءة، كمفهوم نظري، أن يتماشى مع التجارب الفعلية والوجود الشخصي.

جـ . إمكانية الاختزال بشكل كامل في بعض الحالات:

السلوكية (Behaviorism): يُمكن اعتبار المدرسة السلوكية شكلاً من أشكال الاختزال الكامل للكفاءة في الأداء، حيث يُركز علم النفس السلوكي على السلوك الظاهر والقابل للملاحظة والقياس. يُعتبر السلوك نتاجاً للتعلم والتكيّف مع البيئة. في هذا السياق، يُمكن اختزال الكفاءة في الأداء. فالكفاءة اللغوية، على سبيل المثال، تُعتبر مجموعة من الاستجابات اللغوية المُكتسبة من خلال التفاعل مع البيئة اللغوية. هذا الموقف مُنتقد بشدة من قبل تشومسكي وغيره، حيث يُهمل الجوانب المعرفية الداخلية.

إن مسألة اختزال الكفاءة في الأداء أثارت جدلاً فلسفياً، خلص لعدم إمكانية اختزال الكفاءة بشكل كامل في الأداء في جميع الحالات، خاصةً عندما نتحدث عن القدرات المعرفية المعقدة كاللغة والتفكير. فالكفاءة تمثل إمكانات كامنة لا يُمكن استنفادها بالكامل في الأداء الفعلي. ومع ذلك، يُمكن اعتبار الأداء جزءاً أساسياً من تعريف الكفاءة وتقييمها، خاصةً في السياقات العملية والتطبيقية، لذلك تُعد تلك العلاقة علاقة جدلية مُعقدة، ولا يُمكن اختزال أحدهما في الآخر بشكل كامل. بل يجب فهمهما كوجهين لعملة واحدة، يُكمل أحدهما الآخر.

وهنا سؤال يطرح ذاته ما العلاقة القائمة بين الكفاءة والتجربة من ناحية وجودية؟ وهل تختلف تلك العلاقة – بين الكفاءة والتجربة - عن مفهومها في اللسانيات؟

. العلاقة بين الكفاءة والتجربة في السياق الوجودي:

يختلف مفهوم الكفاءة في الفلسفة الوجودية عن مفهومها في اللسانيات فبدلاً من التركيز على القدرات اللغوية تُركّز الوجودية على القدرات الوجودية للإنسان، أي قدرته على الاختيار والحرية والمسؤولية وخلق معنى لحياته. هذه القدرات ليست مُعطاة بشكل مُسبق، بل هي تتشكّل وتتطوّر من خلال التجارب الفعلية والوجود الشخصي.

الوجود يسبق الماهية :

يُعد جان بول سارتر من أبرز الفلاسفة الوجوديين الذين أكّدوا على أسبقية الوجود على الماهية. ففي كتابه "الوجود والعدم" (1943)، يُجادل سارتر بأن الإنسان يُولد أولاً، ثم يُعرّف نفسه من خلال أفعاله وخياراته.

"الإنسان يُحكم عليه بأن يكون حراً" [8]. هذه الحرية تُحمّل الإنسان مسؤولية كاملة عن وجوده، حيث لا يوجد أي مُحدّدات مُسبقة أو قيم مُطلقة تُملي عليه ما يجب أن يكون.

الكفاءة كإمكانية مُتاحة:

يرى مارتن هايدغر، في كتابه "الوجود والزمان" (1927)، أن الوجود الإنساني (Dasein) يتميّز بإمكانية الوجود ، هذه الإمكانية لا تُشير إلى قدرة مُحدّدة، بل إلى انفتاح الوجود الإنساني على مُختلف الاحتمالات

والخيارات. "الوجود الإنساني هو كائن يُحدّد وجوده من خلال فهمه للوجود" [9]، الكفاءة، في هذا السياق، تُمكن فهمها كإمكانية مُتاحة للإنسان ليُحقّق ذاته من خلال اختياراته وأفعاله.

التجربة الوجودية وتشكيل الكفاءة:

تُشكّل التجربة الوجودية، بكل ما فيها من قلق وعبثية وحرية، عاملاً أساسياً في تشكيل الكفاءة الوجودية. فمن خلال مواجهة هذه التجارب، يُصبح الإنسان واعياً بإمكانياته وحدوده، ويُطوّر قدراته على الاختيار والمسؤولية وخلق معنى لحياته. "الوجودية هي إنسانية" هذا يعني أن الوجودية لا تُقلّل من شأن الإنسان، بل تُحمّله مسؤولية كاملة عن وجوده.

وعند تحليل مفهوم الكفاءة بنظرة فلسفية وجودية يتبين بأنها مكتسبة من خلال التجربة الوجودية ، كما أن التجربة تُشكّل الكفاءة: من خلال التجارب الفعلية ، وذلك لكون الكفاءة تُتيح التعامل مع التجربة الوجودية بشكل فعال، هذا يبرهن أن الإنسان يُصبح ما هو عليه من خلال أفعاله وخياراته، وكفاءته تتجسد في وجوده الفعلي، ليكون عدم وجود الانفصال بين النظرية والتطبيق: في الوجودية هو السمة السائدة لتلك العلاقة، أي لا يوجد انفصال بين الكفاءة (النظرية) والتجربة (التطبيق). فالتجربة تُشكّل الكفاءة، والكفاءة تُتيح التعامل مع التجربة. ما يلاحظ أن مفهوم تلك العلاقة يختلف عن مفهومها الأفلاطوني في المُثُل، حيث تُعتبر المُثُل حقائق مُطلقة ومُستقلة عن العالم الحسي. كما يختلف عن المفهوم السلوكي الذي يُركّز على السلوك الظاهر فقط، ويُهمل الجوانب الداخلية للوجود الإنساني.

العلاقة بين الكفاءة والتجربة اللغوية في اللسانيات:

لفهم طبيعة العلاقة بين الكفاءة والتجربة اللغوية في اللسانيات علينا أن نتطرق لنقطتين: الأولى تعريف الكفاءة اللغوية وعلاقتها بالتجربة، والثانية علاقة الكفاءة اللغوية بالذات المفكرة والذوات الأخرى.

تعرف الكفاءة اللغوية في علم اللسانيات بأنها: "القدرة الكامنة لدى الفرد على فهم وإنتاج اللغة." أما التجربة اللغوية فهي الاستخدام الفعلي للغة في المواقف المختلفة، أي التطبيق العملي للكفاءة اللغوية. فالطفل يولد بكفاءة لغوية فطرية، ولكن هذه الكفاءة تتطور من خلال التجربة اللغوية، كما أن التجربة هي أداة التقييم التطوري للمرء فعندما نقيم شخصًا ما في اللغة، فأننا نميز بين كفاءته اللغوية وقدرته على استخدام اللغة في مواقف معينة .فالمرء الذي يتمتع بكفاءة لغوية عالية يكون قادرًا على فهم وإنتاج اللغة بشكل أكثر فعالية، مما يؤدي إلى تجربة لغوية أكثر ثراءً وتنوعًا، كما أن المرء الذي يتعرض لتجارب لغوية متنوعة يتعلم المزيد عن اللغة، ويطور كفاءته اللغوية، وبذلك تكون العلاقة بين الكفاءة والتجربة اللغوية علاقة جدلية فكل منهما يؤثر على الآخر ويتأثر به.

أما فيما يخص علاقة الكفاءة اللغوية بالذات المفكرة وهي تمثل علاقة اللغة بالفكر، وعلاقة الكفاءة اللغوية بالذوات الأخرى وهي تمثل عملية التواصل التفاعلي في المجتمع، فقد شغلت تلك العلاقة - بين اللغة والفكر - الفلاسفة واللغويين منذ القدم، فهناك من يرى أن اللغة هي مجرد أداة للتعبير عن الأفكار الموجودة مسبقًا، بينما يرى البعض الآخر أن اللغة هي التي تشكل الفكر وتحدده.

في هذا الصدد يرى الفيلسوف أرنست كاسيرر أن اللغة هي "صورة للعالم"، وأنها تحدد الطريقة التي نرى بها العالم من حولنا. فالأشخاص الذين يتحدثون لغات مختلفة يرون العالم بطرق مختلفة (10)
بينما يؤكد جان بياجيه على أهمية اللغة في تطور الفكر، حيث يرى أن اللغة تساعد الطفل على الانتقال من مرحلة التفكير المحسوس إلى مرحلة التفكير المجرد (11)، وأيضا أشار لودفيغ فتجنشتاين إلى أن اللغة ليست مجرد وسيلة تواصل، بل هي وسيلة للتفكير. وبالتالي، الكفاءة والأداء التجريبي يتداخلان في كيفية تشكل أفكارنا من خلال اللغة.

فالعلاقة بين اللغة والفكر ليست علاقة تأثير من جانب واحد، بل هي علاقة جدلية. فاللغة تؤثر في الفكر، والفكر أيضًا يؤثر في اللغة. فنحن نستخدم اللغة للتعبير عن أفكارنا، كما أن أفكارنا تؤثر في الطريقة التي نستخدم بها اللغة. وبذلك تكون العلاقة بينهما علاقة تبادلية التأثير والاهمية.

2- اللغة والذوات الأخرى: التواصل والتفاعل

تعتبر اللغة من أهم الوسائل التي نتواصل بها مع الآخرين. فمن خلال اللغة، يمكننا أن ننقل أفكارنا ومشاعرنا إلى الآخرين، وأن نفهم أفكار ومشاعر الآخرين، ولتبيان طبيعة علاقة جدل الذات والآخر تكون الكفاءة هي ما يحمله الفرد من معرفة، بينما الأداء يتم في سياق تفاعل مع الآخرين

وللوقوف على ذلك يمكننا الرجوع إلى نصوص فلسفية مختلفة مستوحى من أفكار بعض المفكرين والفلاسفة: ترتبط الكفاءة في الغالب بالقدرة على تحقيق هدف معين بكفاءة وفعالية. والذات المفكرة عنصر مهم في تحقيق الكفاءة، فالتفكير النقدي والتحليلي من الأدوات الأساسية لتحقيق الأهداف بكفاءة. من ناحية أخرى، لفهم الذات، يحتاج المرء إلى أن يكون مدركًا للذوات الأخرى. وهذا ما أشار إليه إيمانويل كانط بأن معرفة الذات تعتمد إلى حد كبير على التفاعل مع الذوات الأخرى وذلك في كتابه" نقد العقل الخالص"، عندما تحدث عن كيفية اعتماد تجربتنا على كل من الذات والذات الأخرى في تشكيل الوعي والمعرفة. من ناحية أخرى، أكد الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر في كتابه" الكينونة والعدم "على الدور المهم للذات الأخرى في تشكيل الوعي الذاتي، مؤكدًا أن وجود الآخرين يحدد وجودنا ويحدده. أما يورغن ها برماس فقد أكد أن اللغة هي أساس التواصل العقلاني، وأن الحوار هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى التفاهم والاتفاق

المحور الثاني
النظريات اللغوية والفلسفية لفرديناند دي سوسير

كما أسلفنا أن مفهومي الكفاءة والأداء اللغويين أهتم بهما الفلاسفة منذ القدم، وقاموا بتحليل الأداء اللغوي، وتسليط الضوء على العلاقة بينه وبين الكفاءة اللغوية، والتي تتصف بالجدلية: فالكفاءة اللغوية تؤثر على الأداء اللغوي، حيث أن المرء الذي يتمتع بكفاءة لغوية عالية يكون قادرًا على استخدام اللغة بشكل أكثر فعالية. وفي الوقت نفسه، يؤثر الأداء اللغوي على الكفاءة اللغوية، حيث أن الممارسة والتجربة اللغوية تساعدان على تطوير الكفاءة اللغوية، وذلك من خلال التطور التاريخي لهما، ولمعرفة المنهج البنيوي وأثره في تطورهما سوف يقتصر سردنا على اهميتهما في اللغة قبل الفكر البنيوي لدى سوسير.

الإرهاصات المؤثرة في آراء دي سوسير لمفهومي الكفاءة والأداء:

يُعد المفهومان اللغويان "الكفاءة" و"الأداء" من المفاهيم المركزية في الحقول اللغوية والنقدية والفلسفية، وقد دارت حولهما العديد من الدراسات فيمكن القول بتأثيرها في أفكار دي سوسير. لذا، يمكن تحليل هذين المفهومين من خلال عمل عدد من الفلاسفة واللغويين الذين أسهموا في تشكيل مفهوم اللغة وفهم كيفية عملها قبل دي سوسير.

إن الكتابة التصويرية و الابجدية التي تم اكتشافها في الحضارة البابلية والمصرية القديمة هي البداية الحقيقية للدراسات اللغوية التطبيقية، ومع التطور التاريخي طور اليونانيين ابجدية اللغة اليونانية وبلورة علم اللغة النظري، وبذلك تكون للعالم أولى مدونات التفكير اللغوي النظري، لقد كان اليونانيين على وعي بانقسام اللغات وتعددها داخلياً وخارجياً ، ولكنهم استطاعوا أن يُكونوا لغة موحدة، ويصفون من يتحدث بغير اليونانية بـ" البربر" كما قدموا دراسات نحوية وصرفية بجانب الدراسات الفلسفية للغة ، ولمعرفة أهم تلك الدراسات علينا أن نشير للأعمال البحثية للغة قبل سقراط والمتمثلة في الحركة السفسطائية التي تميزت بقولها بسلطة الكلمة والخطاب، واقامة نظريات تؤكد فيها على سلطة الخطاب وأن الخطاب يمارس سلطة مثل سلطة السحر والدواء، ومن يمتلك الكفاءة والأداء اللغوي يمتلك السلطة والسيطرة، وقد ركز بروتوجراس وجورجياس، على الكفاءة اللغوية كمهارة يمكن تعلمها وتطويرها من خلال التدريب والتعليم. معتبرين أن

الكفاءة في الخطابة والبلاغة أساسًا للنجاح في المحافل العامة والسياسية، لذا كان جل اهتمامهم ينصب على دراسة فن الجدل والإقناع لتحسين قدراتهم على التواصل الفعلي، بجانب اعتقادهم أن الكفاءة والأداء يعتمدان

على توازن الأعضاء الثلاثة في الجسم: العقل، الجسد، والروح. والكفاءة لا تتم إلا من خلال توازن هذه الأعضاء، وأن الأداء يعتمد على الحفاظ على هذا التوازن.

وبذلك ساهم السفسطائيين على حث اليونانيين للاهتمام باللغة والعمل على نموها، فكانوا من أولى دعاة الاهتمام باللغة لأغراض شخصية وسياسية، مما أدت هذه الجهود - التي كثيراً ما اساء استخدامها - حث سقراط وافلاطون

وارسطو على بذل جهود مقابلة في ميدان الفلسفة بصفة عامة واللغة بصفة خاصة للتصدي لكل المحاولات الداعية لسوء الاستعمال من حيث الدلالة والهدف.

فقد أكد سقراط على ضرورة التعريف الماهوي الدقيق للألفاظ والمفاهيم من اجل الوصول للتعريف المنطقي، منادياً بقواعد الأداء اللغوي السليمة الناتجة عن الكفاءة العقلانية في الاستخدام وفي هذا الصدد نلاحظ أن سقراط لم يتحدث عن الكفاءة اللغوية بشكل مباشر، لكنه اعتبر أن المعرفة الحقيقية تأتي من القدرة على طرح الأسئلة الصحيحة وفهم الأجوبة. لذلك كان يستخدم الحوار كوسيلة لاكتشاف الحقيقة، وهو ما يعكس أهمية الكفاءة في استخدام اللغة وفهم المفاهيم المعقدة، بينما الأداء اللغوي عند سقراط كان يتمثل في القدرة على التواصل بوضوح ومنطقية، وتحفيز الآخرين على التفكير النقدي من خلال الحوار، كما رأى سقراط أن الكفاءة والأداء يعتمدان على القيم والمبادئ الأخلاقية. لذا يُعد الشخص المتوازن عقلياً وجسدياً ذو كفاءة لغوية، بينما الأداء يعتمد على القدرة وعلى التحكم في النفس والتركيز على الأهداف.

أما أفلاطون الذي اعتمد في حديثة عن اللغة على لسان سقراط، وذلك في محاوراته وخاصة " محاورة كراتيل" التي ينطوي جل اهتمامها على المشكلات اللغوية: منها العلاقة بين اللغة والواقع، أي العلاقة بين الأسماء والأشياء وإمكانية الأسماء في التعبير عن الأشياء، كما اشارت المحاورة لأراء كل من هيراقليطس وديموقريطس المتمثلة في معرفة أصل اللغة.

لقد ركز أفلاطون على أهمية الكفاءة في استخدام اللغة لنقل الأفكار الفلسفية. في كتاباته، مثل "الجمهورية"، أظهر أن الكفاءة اللغوية تتعلق بقدرة الفرد على التعبير بوضوح ودقة عن الأفكار المعقدة، والأداء اللغوي يتمثل في استخدام الحوار بشكل فعال لإيصال الأفكار والمفاهيم الفلسفية. معتبراً الحوار الجيد يجب أن يكون منطقيًا ومنظمًا ويهدف إلى الوصول إلى الحقيقة.

فقد نظر أفلاطون ومن بعده أرسطو للكفاءة والأداء بإنهما يعتمدان على الفضيلة والمعرفة، وأن الشخص المتوازنً عقلياً وجسدياً يكون كفي، والأداء يعتمد على القدرة على التفكير النقدي والتحليل المتقن، لذا قدم ارسطو تعريفًا أكثر منهجية للكفاءة اللغوية في كتاباته حول البلاغة. فقد أوضح أرسطو في كتابه "البلاغة" أن الكفاءة تتعلق بالقدرة على استخدام اللغة بشكل منطقي ومنظم لإقناع الجمهور، والأداء اللغوي يتمثل في القدرة على تطبيق مبادئ البلاغة في التواصل الفعلي، وبذلك وضع أرسطو أسس فن الخطابة، مشددًا على أهمية التنظيم الجيد والحجج المنطقية للتأثير على المستمعين.

في هذا الصدد يتضح أن فلسفة اللغة التقليدية المتمثلة في كل من السفسطائيين وسقراط وأفلاطون وأرسطو فسرت مفهومي الكفاءة والأداء في اللغة بوجهات نظر مختلفة، فقد ركز السفسطائيون على الجوانب التطبيقية والمهارية للكفاءة والأداء، بينما أضاف سقراط وأفلاطون وأرسطو مجالات أعمق من الفهم الفلسفي لهما، مما ساهم في تطوير هذه المفاهيم بشكل شامل، [12]

في العصور الوسطى، شهد مفهوم الكفاءة والأداء تحولًا جديدًا، حيث تم التركيز على المعاني الدينية والفلسفية. فقد ربط الفلاسفة الإسلاميون، ولا سيما ابن سينا وابن رشد، بين تفسير اللغة واللاهوت، واعتُبرت اللغة وسيلة

للتعبير عن الفكر الإلهي. وقد كشفوا في مناقشاتهم حول اللغة والمعرفة عن طبيعة العلاقة بين الكفاءة والأداء. تناول ابن سينا العلاقة بين اللغة والفكر في معظم كتاباته، مؤكدًا أن اللغة تعكس الواقع وتجسد الفكر الإنساني، يعكس هذا الارتباط بين الفكر واللغة أيضًا في فهم الكفاءة اللغوية باعتبارها القدرة على التعبير عن المفاهيم الفلسفية المجردة. في هذا الصدد أخذ اللاهوتيون الأوروبيون مفهوم اللغة كوسيلة للتواصل مع الله وفهم الكتاب المقدس. فقد اعتبر توما الأكويني، معتمدًا على فلسفة أرسطو والفلاسفة العرب اللغة أداة لفهم الحقيقة الإلهية مفسراً المعنى اللغوي للكلمات وفقًا للعقيدة المسيحية [13]. ولم يقتصر الأمر على دراسة الظواهر اللغوية في القرون الوسطى كأدوات للتواصل، بل امتدت إلى نقاشات حول المعنى والرمزية وفهم النص. ونتيجة لذلك لم تعد الكفاءة والأداء مفهومين منفصلين، بل أصبحا جزءًا من منظومة أكبر تجمع بين اللغة والفكر واللاهوت لتكوين فهم للكفاءة والأداء ومحاولة فهم الواقع ومكانة الإنسان فيه. وقد أثرى هذا الإرث الفلسفي للغة المناقشات اللاحقة حول دور اللغة وأهميتها، مسلطًا الضوء على أن اللغة ليست مجرد أداة للتواصل، بل وسيلة لفهم أعمق للحياة والمعنى ومن أهم المنعطفات اللغوية التطورية حول مفهومي الكفاءة والأداء اللغويين المنهج البنيوي عند فرديناند دي سوسير.

2. فرديناند دي سوسير واللسانيات البنيوية:

يُعد فرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure 1857-1913) مؤسس علم اللغة البنيوي الحديث في اللسانيات ، عُني دي سوسير بدراسة اللغة دراسة وصفية للظاهرة الاجتماعية، بعدما كانت تُدرس كظاهرة تاريخية لاعتقاده بأن اللغة تُدرس كعلم قائم بذاته وليس كتاريخ لتطورها، وذلك بعد اهتمامه بدراسة مختلف اللغات ومنها اللغة السنسكريتية ، فقد أشار سوسير في منهجه البنيوي الحديث بأن اللغات لا تتكون من تصورات الأفراد الذين يعيدون استخدامها من جديد، ولكنها تتكون من علامات هي ثمرة أبنية أو أنساق تباين تتجاوز مستوى الفرد كالأبجدية، والأجرومية، وقواميس اللغة ،.....الخ، [14] وبذلك لم يعد الفرد لدي سوسير في علم اللغة مركز الاهتمام في تحليل الظاهرة الاجتماعية ولكن أصبحت دراسة اللغة كواقع قائم بذاته ولذاته جزء لايتجزء من علم السيميولوجيا (السيميوتيك حالياً) وهو التنظيم الداخلي للغة ، وهو علم مستقل من الإشارات يُمكن من تحليل العلاقات بين عناصر اللغة وهيو البداية الحقيقية للثورة البنيوية، التي ميز من خلالها بين اللغة كوظيفة ووجود ونظام : اللغة كوظيفة : أداة تواصل وتفاعل ، وكوجود يحددها المحتوى التاريخي الثقافي ، أما كنظام ذاتي فهي علم تنظيم الإشارات.

يميز سوسير بين اللغة والكلام: بالنسبة لسوسير اللغة فعل جماعي، مكتسب من الاستخدام يخزن في ذهن الفرد كنظام مجرد مكون من القواعد والمعاني المشتركة بين المتحدثين، وهي بمثابة المعرفة الضمنية للقواعد والدلالات الموجودة بالقوة التي تُمكن المتحدث من إنتاج وفهم اللغة، وبذلك تعكس مفهوم الكفاءة اللغوية.

أما الكلام: فهو الفعل الملموس للفرد في موقف معين ومحدد، أي التطبيق العملي للكفاءة ويتضمن العوامل النفسية والاجتماعية والظروف البيئية التي تؤثر على كيفية استخدام اللغة، ليكون الأداء اللغوي هو الصورة المختلفة عن اللغة التي توجد بشكل مستقل في العقل [15]

توضح نظرية الكفاءة اللغوية والأداء اللغوي لدي سوسير بهذا التمييز، بأن أي دراسة لغوية يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الجانب النظري (الكفاءة) والجانب العملي (الأداء) لما يعكسانه من تطورات لكونهما، المعرفة الضمنية والتطبيق العملي للغة يتأثران بالعديد من المتغيرات.

كما تتضمن منهجية سوسير البنيوية في اللغة تمييز اخر بين اللغة من حيث تكوينها فهي تتكون من دال (الشكل المادي) ومدلول (المفهوم) بجانب كونها نظام من العلامات، وتُعد العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية (أي ليست طبيعية بالضرورة)، حيث لا يوجد رابط طبيعي بين الكلمة ومفهومها، هذه الفكرة تُعد بمثابة البنية الأساسية لتشكيل اللغة وتطورها عبر العصور لكونها تُحدد معنى الكلمة وتطورها من خلال الاتفاق الاجتماعي والثقافي المتطور بالمجتمع. لذلك فرق سوسير بين العلامة الدالة والمعنى: فالعلامة الدالة؛ تتكون من الدال والمدلول معًا، حيث يشكلان الوحدة الأساسية للغة، بينما المعنى؛ ينشأ من الفارق والاختلاف بين العلامات المختلفة داخل النظام اللغوي. فالمعنى ليس ناتجًا عن الكلمة نفسها فقط، بل عن كيفية ارتباط هذه الكلمة بغيرها من الكلمات ضمن النظام اللغوي [16]، أذن يمكن فهم المعنى من خلال العلاقات بين العلامات، وأن الفرق بين العلامات هو منشأ المعنى وليس العلامات نفسها، تلك الأفكار البنيوية كان لها أثر في تطور جل العلوم وخاصة الفلسفة اللغوية ونظرتها لمعنى الكفاءة والأداء في اللغة.

جـ - تأثير الفكر البنيوي على الفلسفة اللغوية:

لقد كان للفكر البنيوي، الذي يمثل نقلة نوعية في الدراسات اللغوية، تأثير على العلوم اللغوية اللاحقة، وخاصة في تطور مفهومي الكفاءة والأداء على الرغم من عدم استخدم دي سوسير مصطلحات "الكفاءة" و"الأداء" بالضبط، لكن أفكاره حول النظام اللغوي والتفريق بين اللغة والكلام كانت الأساس الذي بُني عليه تطوير هذه المفاهيم.

في اللسانيات الوصفية تركز على وصف اللغة كما هي في لحظة زمنية معينة، دون النظر إلى تطورها التاريخي، من أشهر الفلاسفة في اللسانيات الوصفية الذين تأثروا بدي سوسير رومان جاكوبسون (1896 – 1982)، على الرغم من أنه لم يستخدم مصطلحي "الكفاءة" والأداء" بشكل مباشر إلا أنه يمكننا أن نستنبط من أعماله مفاهيم مماثلة. كان جاكوبسون مهتمًا بالطريقة التي تتفاعل بها العناصر المختلفة للغة لتشكل نظامًا متكاملًا وفي هذا السياق، يمكن فهم" الكفاءة "كمفهوم يتعلق بفهم نظام لغوي متكامل، والأداء "كمفهوم يتعلق بكيفية استخدام هذا النظام فعلياً. فقد فسر جاكوبسون الكفاءة في علم الأصوات بدراسة كيفية تنظيم الأصوات في اللغات المختلفة، معتقداً أن فهماً أعمق لهذا النظام يمكن أن يوفر نظرة ثاقبة في الكفاءة اللغوية للأشخاص متأثرًا بذلك بتفسير دي سوسير في أن اللغة نظام متكامل من العلاقات بين العناصر اللغوية، كما نظر جاكوبسون

للوظيفة اللغوية وهي كيفية استخدام الناس للغة في التواصل. وهي تعكس الأداء اللغوي وكيفية تطبيق الناس للمعرفة اللغوية في المواقف الحقيقية، وفيما يخص أرائه في التحليل النصي أهتم جاكوبسون بكيفية استخدام اللغة في النصوص الأدبية والشعرية، وهو ما يعكس كيفية استخدام الكفاءة اللغوية في السياقات الإبداعية وفي الأداء اللغوي، إذن يمكن النظر إلى جاكوبسون على أنه يركز على النظام البنيوي للغة (الكفاءة) وكيفية تطبيق هذا النظام في مواقف مختلفة (الأداء) [17]

وكما أثرت أفكار دي سوسير البنيوية بشكل كبير في الفلسفة اللغوية كان لها تأثيراً مباشراً في العلوم الأخرى منها الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع: فقد استخدم كلود ليفي ستروس المنهج البنيوي لدراسة الثقافات والمجتمعات البشرية من خلال تحليل الأساطير والعادات والتقاليد كأنظمة متكاملة، مما ساعد في تطوير فهم أعمق لمعرفة تطور المجتمعات من خلال اللغة. وقد امتد التأثير إلى مجالات عديدة حيث استخدم مفهوم النظام البنيوي في تحليل الظواهر الثقافية والاجتماعية كما استخدم في دراسة الأنظمة اللغوية والبنى الداخلية للغات، كذلك في تحليل النصوص الأدبية باعتبارها أنظمة تتكون من عناصر مرتبطة ببعضها البعض، مما يساعد على فهم المعاني الضمنية للنصوص، ومن أبرز الفلاسفة واللغويين الذين تأثروا بدي سوسير، على الرغم من أنه قدم العديد من الانتقادات لأفكاره نعوم تشومسكي فقد طور مفهوم الكفاءة اللغوية والأداء في نظريته عن القواعد التوليدية.

المحور الثالث
من البنيوية إلى النحو التوليدي

مما سبق يتضح أن المنهج البنيوي هو اتجاه فكري في العلوم الإنسانية يركز على دراسة الظواهر كوحدات متكاملة، حيث يتم تحديد معنى كل وحدة من خلال علاقتها بالوحدات الأخرى في النظام. وقد كان للمنهج البنيوي تأثير على نظرية نعوم تشومسكي (1928-) ليُعيد تشكيل علم اللغة من خلال نظريته حول النحو التوليدي والتحويلي، رغم أن تشومسكي ليس بنيوياً بالمعنى التقليدي، إلا أن المنهج البنيوي ساهم بشكل فعال في تشكيل المفاهيم الأساسية للمنهج التوليدي وخاصة مفهومي الكفاءة والأداء وبنى اللغة.

- مستويات بنية اللغة عند تشومسكي:

أحدثت نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية تغير في فهم بنية اللغة. حيث يرى تشومسكي أن اللغة ليست مجرد مجموعة من الكلمات والقواعد، بل هي نظام متداخل يتكون من مستويات متعددة تتفاعل مع بعضها البعض، حيث تنقسم تلك المستويات إلى ثلاثة مستويات: الأول؛ البنية العميقة: تمثل البنية العميقة المستوى الأساسي للغة حيث يتم التعبير عن المعنى بشكل مجرد، تتكون البنية العميقة من مجموعة من القواعد والعلاقات التي تحدد كيفية ارتباط الكلمات والمعاني ببعضها البعض. لا تظهر البنية العميقة بشكل مباشر في اللغة المنطوقة أو المكتوبة، ولكنها تكمن خلفها. المستوي الثاني؛ البنية السطحية: تصف البنية السطحية الشكل السطحي للجملة، أي الطريقة التي تظهر بها الكلمات في الكلام والكتابة، يتم إنتاج البنى السطحية من خلال تطبيق سلسلة من التحويلات على البنى العميقة، يمكن أن تكون البنى السطحية أكثر تعقيدًا من البنى العميقة لأنها قد تحتوي على عناصر لغوية إضافية مثل حروف الجر والصفات، المستوي الثالث؛ التحويل: التحويل هو مجموعة من القواعد التي تحوّل بنية عميقة إلى بنية سطحية. تتضمن التحويلات عمليات مثل الإضافات والحذف والتغييرات في ترتيب الكلمات. تشرح التحويلات كيف يمكن أن يكون للجمل المختلفة نفس المعنى الأساسي وكيف يمكن أن تتغير الجملة لتناسب سياقًا معينًا. (18)

في هذا الصدد، يُعرف تشومسكي الكفاءة اللغوية بأنها" المعرفة الضمنية "التي يمتلكها الناطقون بلغة ما. إنها القدرة الكامنة على إنتاج وفهم عدد لا نهائي من الجمل في لغة ما. ولا تقتصر هذه المعرفة على القواعد النحوية الواضحة، بل تشمل أيضًا الفهم العميق للبنية اللغوية، بما في ذلك العلاقة بين الكلمات والمعاني. ويشير تشومسكي إلى أن هذه القدرة فطرية لدى البشر ولا يتم اكتسابها بالكامل من خلال الخبرة، بل هي جزء من التركيب البيولوجي للدماغ. وهذا ما يميز الإنسان عن غيره من الكائنات الحية التي لا تمتلك هذه القدرة اللغوية المعقدة، أما مصطلح الأداء اللغوي: فهو يشير إلى الاستخدام الفعلي للغة في موقف معين. ويتأثر الأداء بعدد من العوامل، بما في ذلك الذاكرة والانتباه والحالة النفسية للمتكلم. لذلك، لا يعكس الأداء دائماً القدرة اللغوية بشكل كامل. على سبيل المثال، قد يرتكب الشخص الذي يتمتع بقدرة لغوية عالية أخطاء عند التحدث أو الكتابة بسبب التعب أو الإرهاق. وفي هذه الحالة، يكون الأداء دون مستوى الكفاءة، ويمكن تُفهم العلاقة بين الكفاءة والأداء بالصورة المثلى في ضوء عمليتي التوليد والتحويل. فالكفاءة اللغوية تمكّن المتكلمين من توليد عدد لا حصر له من البنى العميقة التي تمثل المعنى القابل للتعبير. أما الأداء اللغوي، من ناحية أخرى، فهو عملية اختيار وتحويل هذه التراكيب العميقة إلى جمل واقعية تظهر في الكلام والكتابة.

- التمييز بين اللغة والكلام :

استلهم تشومسكي من دي سوسير، التمييز بين اللغة والكلام، حيث تمثل اللغة النظام اللغوي الذي يمتلكه المتحدث الكفاءة اللغوية وهما وجهان لعملة واحدة، في حين أن الكلام هو الاستخدام الفعلي للغة (الأداء) ولكن يُشدد تشومسكي على أن اللغة هي ملكة فطرية يمتلكها الإنسان، وهي جزء من التركيب البيولوجي للدماغ. ويستدل على ذلك من خلال عدة أمور، منها:

أ - اكتساب اللغة وخاصة عند الأطفال بسرعة وسهولة، ودون الحاجة إلى تعليمات صريحة.

ب – قدرة المتحدث الأصلي للغة على إنتاج وفهم عدد لا نهائي من الجمل، بما في ذلك الجمل التي لم يسمع بها من قبل. (19)

-الاهتمام بالوصفية :

تأثر تشومسكي بالمنهج البنيوي في اهتمامه بالوصفية، حيث سعى إلى وصف اللغة كما هي، دون إصدار أحكام عليها. وقد تجلى ذلك في تركيزه على القواعد التي تحكم اللغة، بدلًا من التركيز على الاستخدام الفعلي للغة.

الأثر الفلسفي للمقاربات البنيوية والتوليدية في علم اللغة:

يشكل علم اللغة حقلًا معرفيًا خصبًا للتأمل الفلسفي، حيث تتلاقى فيه رؤى مختلفة حول طبيعة اللغة، ووظيفتها، وعلاقتها بالفكر والواقع. ومن بين المدارس اللغوية التي أثرت بشكل عميق في الفكر الفلسفي، تبرز المقاربتان البنيوية والتوليدية، اللتان تقدما بتصورين متباينين، ولكنهما متكاملين.

ينظر المنهج البنيوي إلى اللغة بوصفها نظامًا متماسكًا من العلامات اللغوية التي ترتبط فيما بينها بعلاقات محددة. ويهدف هذا المنهج إلى الكشف عن البنية العميقة التي تحكم هذه العلاقات، والتي تحدد كيفية إنتاج المعنى، حيث لا تُعتبر الكلمات في المنهج البنيوي وحدات منعزلة، بل هي عناصر ضمن نسق مترابط من

العلاقات. فالمعنى لا ينشأ من الكلمات في حد ذاتها، بل من العلاقات التي تربط بينها. وهكذا، فإن فهمنا للغة يتطلب تحليل هذه العلاقات، والكشف عن الكيفية التي تتفاعل بها العناصر اللغوية لتوليد المعنى، وبذلك يساهم المنهج البنيوي في فهم العلاقة بين بنية اللغة والمعنى. فالمعنى لا يُستمد من استخدام اللغة فحسب، بل يتشكل أيضًا من خلال بنية اللغة. وفهمنا لبنية اللغة يساعدنا على فهم كيف يمكن للغة أن تعكس أفكارًا متعددة اعتمادًا على بنيتها.

كما اوضح المنهج البنيوي كيف أن اللغة لا تعكس الواقع بشكل مباشر، بل هي تخلق هياكل رمزية تعكس تصور المجتمع للواقع. فاللغة ليست مجرد أداة للتعبير عن الأفكار، بل هي أداة لتشكيلها. وهكذا، فإن تحليل اللغة يكشف لنا عن الكيفية التي يبني بها المجتمع تصوره للواقع، وكيف يعكس هذا التصور في اللغة.

أما المنهج التوليدي، فيقوم على فكرة أن اللغة قدرة إنسانية فطرية، وأن هناك قواعد نحوية عميقة تحكمها. هذه القواعد تسمح للمتحدث بإنتاج عدد لا نهائي من الجمل وفهمها، ليتجاوز بهذا التحليل الفهم السطحي للغة، ويسعى إلى الكشف عن القواعد العميقة التي تحكم بناء الجمل. وهي ما تسمح للمتحدث بإنتاج عدد لا نهائي من الجمل. لذلك أكد المنهج التوليدي على أهمية التعلم الفطري، والمعنى الذي يتشكل في ذهن الفرد. لكون اللغة ليست مجرد نظام من العلامات، بل هي أداة للتفكير والتواصل.

وعلى الرغم من وجود اختلافات جوهرية بين المقاربتين - البنيوية والتوليدية- إلا أنهما تتكاملان في فهمنا للغة. حيث تقدم كل من الفلسفتين البنيوية والتوليدية أساسًا ثريًا للتحليل الفلسفي في علم اللغة. فمن خلال استكشاف كيفية تشكيل المعنى والبنى اللغوية، يمكننا أن نكتسب فهمًا أعمق لكيفية تأثير اللغة على الفكر والمجتمع، وعلاقة اللغة بالإدراك المعرفي والوعي.

وبالمقابل قد تأثرت تلك المناهج بشكل كبير بالأفكار الفلسفية حول المعرفة والعقل، وذلك من خلال استنباطنا من أفكار دي سوسير للغة حيث أشار بأنها ليست مجرد مجموعة من المفردات، بل نسق يحمل معاني تتشكل من التفاعلات بين عناصره، مما يعكس تصورًا فلسفيًا يعلي من شأن الكل على حساب الأجزاء.

كما يتأثر المنهج البنيوي بالنظريات المعرفية التي تستهدف فهم كيفية بناء المعنى في الأذهان البشرية من خلال الإدراك اللغوي. هذا التركيز على الوعي بمعاني الكلمات يتماشى مع بعض الاتجاهات الفلسفية الحديثة التي تسعى إلى فهم العمليات المعرفية والكيفية التي تُبنى بها الأفكار والمعاني.

من جهة أخرى، يمثل المنهج التوليدي، استجابة فلسفية عقلانية في التفكير لكيفية اكتساب اللغة، وهو يمثل آفاقاً جديدة في دراسة العقل والإدراك، وتعزيز فكرة وجود قاعدة معرفية داخلية تُسير عملية اكتساب اللغة. يرتبط هذا المنهج بشكل وثيق بفلسفة المعرفة كما تلتقي بعض أفكار هذا المنهج مع الفلسفة التحليلية التي تعمل على استكشاف المكونات الأساسية للمعرفة الإنسانية، مسلطة الضوء على الأنساق اللغوية الداخلية.

وبذلك يظهر العمق الفلسفي في كلا المنهجين- البنيوي والتوليدي - بوضوح، حيث يستند كل منهما إلى مقاربات فلسفية متعددة تعكس تنوع التفكير حول طبيعة اللغة، وطبيعة العلاقة التفاعلية المتداخلة بين الأفكار والوعي.

الخاتمة:

مما سبق نستنتج الآتي:

- تأثر دي سوسير بسابقيه فيما يتعلق بآرائهم حول الكفاءة والأداء، وأيضاً بالصلة بينهما. فلا شك أن التراث المعرفي الفلسفي الذي أسسه فلاسفة اليونان، أمثال بروتوجراس وسقراط وأفلاطون وأرسطو، قد أثر تأثيراً كبيراً ليس في لاحقيهم فقط، بل في جل الموضوعات العلمية، ومن بينها موضوع الكفاءة والأداء.

- يتضمن مبحث الكفاءة والأداء أهم مبحثين من مباحث الفلسفة الأساسية: المبحث الابستمولوجي (الذي يتعلق بالمعرفة) والمبحث الاكسيولوجي (الذي يتعلق بالقيم)، بما يحتويانه من تطبيقات سلوكية ناتجة عن قيم مطلقة. يتم ذلك من خلال تناسب هذه السلوكيات مع الآراء الفلسفية بصدد الجانب المعرفي، سواء من حيث نظرية الإدراك أو من حيث التطبيقات.

لذا، يُعد موضوع الكفاءة والأداء من الموضوعات الفلسفية العقلية التي تم تناولها عبر تاريخ الفلسفة، بدءًا من الفلاسفة اليونانيين وصولاً إلى العصر الحديث والمعاصر.

- يمكن القول إن هناك فروقات فردية موجودة ضمن دائرة الكفاءة؛ إذ إن الإدراك العقلي المعرفي يختلف من فرد إلى آخر تبعاً لعوامل عديدة، منها العوامل الجينية والبيئية. وبالمثل، فإن دائرة الأداء أيضاً تتمتع بفروقات مشابهة لتلك الموجودة في الكفاءة، نتيجة الأسباب نفسها.

أما بالنسبة للعلاقة بين الكفاءة والأداء، فإن الفروقات الفردية إذا ما انطبقت على الكفاءة والأداء، فهي بالضرورة تنطبق عليهما معًا. ذلك لأن العلاقة بين الكفاءتين تتضمن ما بداخلها بأسلوب شرطي، مما يعني أن أي اختلافات في الكفاءة ستنعكس بشكل مباشر أو غير مباشر على الأداء.

- الكفاءة تشير إلى القدرة والمعرفة النظرية التي يمتلكها الفرد، بينما الأداء هو التطبيق الفعلي لتلك المعرفة في ممارسات الحياة اليومية. لذلك، يمكن القول إن الكفاءة تشكل الأساس الذي يُبنى عليه الأداء، ويتطلب تحسين الأداء تطوير الكفاءة، لكن هذا لا يكفي؛ فالسياقات البيئية والدوافع الشخصية تلعب دورًا كبيرًا أيضاً في كيفية تجسيد الأفراد لقدراتهم وكفاءاتهم في سياقات الحياة المختلفة.

الهوامش والمراجع:

[1] - نعوم تشومسكي: " جوانب من نظرية النحو"، ترجمة : مرتضى جواد باقر البصرة ، 1985، ص28

[2] - المرجع السابق ،ص 29

[3] - كانط، إيمانويل. "نقد العقل المحض" ترجمة عبد الغفار مكاوي، ط1، دار المعارف ، القاهرة، 2009، ص 30

[4] - المرجع السابق، ص 54

[5] - نعوم تشومسكي: ، معرفة اللغة، ترجمة. محي الدين حميدي، ط1، دار الزهراء ، الرياض ، 2002، ص. 22-35

[6] - تشارلز بيرس، "كيف نجعل أفكارنا واضحة" ترجمة . أحمد فريحي، مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2024.

[7] - جان بول. سارتر "الوجود والعدم" بحث في الانطولوجيا الظاهرتية ، ترجمة. عبد الرحمن بدوي، ، ط1، دار الآداب بيروت، 1966، ص 20 .

[8] - المرجع السابق ، ص 439

[9] - مارتن هايدغر، الوجود والزمان، ترجمة. إبراهيم محمود، ط1، دار الكتاب الجديد ، بيروت، 2013 ، ص. 12

[10] - إرنست كاسيرر، اللغة والأسطورة، ترجمة . سعيد الغانمي، ط1، دار كلمة للطباعة والنشر والتوزيع، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث. ص 76

[11] - جان بياجيه تكوين الرمز عند الطفل ، ترجمة. سمير علي، ط1، دار ثقافة الطفل ، بغداد، 1986ص 15

[12] - الزواوي بغوره: " الفلسفة واللغة " نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، 2005، ص 9 : 17

[13] - المرجع السابق، ص 23

[14] - فرديناند دي سوسير، فصول في علم اللغة العام ، ترجمة: أحمد نعيم الكراعين، ط1، الإسكندرية ، مصر ، دار المعرفة الجامعية، 1985، ص 37.

[15] - المرجع السابق ، ص 40

[16] - خالد بسندي:" مصطلح الكفاية وتداخل المفهوم في اللسانيات التطبيقية" ، عمان، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد 5 العدد 1، يناير2009 ، ص53- 55

[17] - رومان جاكوبسون، اللسانيات والتواصل اللغوي ، ترجمة . حسين نصار ، ط1 ، دار المعارف، مصر، 1973، ص 65

[18] - نعوم تشومسكي: " جوانب من نظرية النحو"، ترجمة: مرتضى جواد مرجع سبق ذكره، ص 165:160

[19] - محمد توفيق: "اللغة والفكر: دراسة نقدية في نظرية تشومسكي". مركز دراسات الوحدة العربية. 2012، ص158-160.